قندهـــار..!

هيأ الله لي أن أزور مدينة قنـدهار بولاية قندهـار بأفغانستان، فاطلعت على مدينـة عجيبة هي في قسم كبيـر منها وحيوي لا تتعـدى كونهـا أطلالاً تحكي قصة طويلة من المواجهة بين المجاهدين والشيوعيين.

كنت في صحبة قندهاريين لم يروها منـذ ثلاثة عشر عامًا فأحسست بالألم يعصـر قلوبهم، وكـانت التنهـدات تخرج من العمق، وبخـاصـة أنها كـانت مهدهم وذكرياتهم وحياتهم.

وأستطيع القول أن مـدينة قندهـار مدينـة من رصاص، حيث وجدت بقـايا الرصـاص وبقايـا الذخيرة تستخـدم في البناء وفي الحـواجز وفي نقط التفتيش وفي أشياء كثيرة، ووجـدت بقايا الصواريخ وقـد وضعت معالم تحكي ملحمة الجهـاد، ووجدت في الـوجوه نظـرات خـاصة إلى المـاضي وتطلعات نحـو المستقبل البعيـد. وأظن أن قندهار لـن تعود إلى مـا كانت عليه قبـل عشرات السنين. ناهيك أن تلحق بركب الحضارة العمرانية التي شهدتها مدن العالم.

وقندهار مـدينة تمثل بقية من مدن أفغانستـان التي عانت كثيرًا، ويكفي أن يقال إنها تعـرضت لحرب، لنجد الآثار التي تستمر سنين طـويلة وتحتاج إلى وقت طويل وجهود مضنية وسريعة لتصل إلى حد يُمكِّن من العيش فيها.

ولم توفق قندهار وغيرها إلى التصوير الحي لما حصل لها طيلة السنين كما حصل الآن لمدينة سراييفو في البوسنـة والهرسك. ولذا فإن مدى إدراك الضرر الذي حل بـالمدن والقـرى الأفغانيـة قد لا يصل إلى النـاس إلا أن يقفوا على الدمار فيروه بأعينهم.

والحرب شيء مؤلم وغيـر مطلوب؛ لأن نتائجه دائمًا مؤلمـة وغير مطلوبة. وهي أيضًـا مكروهـة من ابن آدم. ولم نعلم حربًـا لم تكن فيها خسـائر ماديـة ومعنوية، ومدينة قندهار شاهد اليوم على ذلك.

إن أفغانستان كلها تحتاج إلى الكثير، تحتاج إلى الاستقرار أولاً، وتحتاج إلى التعمير ثانيًا، وتحتاج إلى التعليم ثالثًا، وتحتاج إلى أن تعود للبنية الأساسية للحياة . تبدأ خطواتها الأولى مع أول خطوة من خطوات الاستقرار، وتحتاج إلى ذلك كله بوقت سريع ؛ لأن بقاءها دون البنية الأساسية كفيل بأن يولد مشكلات غير يسيرة على الشعب الأفغاني وربما على المنطقة المحيطة بها كذلك .

وتظل قندهار مدينة الرصاص تنتظر الاستقرار لتبدأ مرحلة جديدة من حياتها الطويلة، ويظل أبناء قندهار يتطلعون إلى هذا الاستقرار. كلهم أمل في سرعته، فكان الله معهم، وكان الله في عون الجميع .

كابووول..!!

انتصر المجاهدون الأفغان ومعهم المجاهدون المسلمون في كل مكان على الشيوعية في أفغانستان وفي كل مكان. ودخل المجاهدون الأفغان كابول العاصمة في شوال من عام ١٤١٢هـ، وبدأت حينئذ مرحلة جديدة مختلط بها الشعور بالنصر والعزة، بالخوف على المستقبل. فلم يكن الجميع راضين عن التحولات في مسألة الانتقال إلى كابول وبدء الحكم الإسلامي في أفغانستان. وكانت هناك مجموعة من العراقيل التي تحول دون صفاء الحكم، ويبدو أن هذه المجموعة لا تزال قائمة إذا لم يضف إليها مجموعة أخرى.

وبدأ المهاجرون رحلة العودة حيث عاد إلى اليوم ما يزيد على ثمانمائة ألف مهاجر من الضفة الشرقية للبلاد الأفغانية، وعادت مجموعات أخرى من الضفة الغربية.

ولكن كابول لا تزال لم تتعود إلا على حكم شيوعي دام أكثر من خمسة عشر عامًا (١٧/ ٤/ ١٩٧٨م)، ولذا فإن النقلة غير يسيرة وتعتريها بعض المتاعب والصعاب، وتحتاج إلى وقت ـ ربما يكون طويلاً ـ لتتضح فيها الرؤية.

مشكلة كابول الآن أنها لاتزال تحتضن أولئك المنبوذين، أنصار الحكم الشيوعي المنهار، وهناك مطالبة قوية بأن يغادر هؤلاء العاصمة كخطوة أولى حتى ينظر في أمرهم، فهم الذين أسهموا مباشرة بأن يخلفوا المعاقين والأرامل والأيتام ويقضوا على أكثر من مليون ونصف قتيل ـ نحسبهم من الشهداء ـ فلا يعقل في ميزان البشر أن يمسح كل هذا بقرار سياسي متسرع، وبخاصة أن منهم من أقسم بلينين وبستالين وبالشيوعية ألا يبقى على أرض الأفغان مجاهدًا واحدًا، ثأرًا منه لما حصل لأهله خطأ على يد بعض المتسرعين من المنضوين تحت لواء الجهاد.

ومشكلة كابول أنها يراد لهـا ألا ترحب بحكم إسلامي خالص، هذا إذا أمنا بنظرية المـؤامرة التي تلاحق أعمالنا كلهـا ـ تقريبًا، وإذا آمنا بـالأيادي الخفية التي تعمل بواسطة أجهـزة التحكم عن بعد ـ وإني أكاد لا أعطي هـذه النظرية هـذا الاهتمـام الذي جعلهـا «شمـاعـة» نعلق عليهـا عجـزنـا ونتائج تسـرعنـا وحماسنا الزائد عن الحد.

وعلى أيـة حـال؛ فالـوقفـات مع كـابـول تطول، والـذي عمل مع القضيـة الأفغـانية يجـدها قـد نمّت فيه الاعتـزاز بالنفس، فكـان يتحدث عن الجهـاد والمجـاهديـن بشيء من الفخر وعلـو الـرأس، فأصبح الآن من يتحـدث عن القضية يقف موقف المدافع، وذلك الموقف التبريري في الوقت الذي يتخلى فيه الناس عن القضية وهي أحوج إليهم من ذي قبل.

وأصبحت كابول على كثيـر من الألسنة، فهناك الشامتـون الذين كانت لهم نظرات خاصة عن مفهوم الجهاد في أفغـانستان، فلم يعترفوا به لحظة، وعدوا ما هـو قائم حـربًا أهلية يقـودها «متمـردون» أو «ثوار» أو «حركـة مقاومـة» ضد حكومة شيوعية مفروضة. وكـان هناك الذين لم يروا الحكمة في هذا التعاطف الذي رأوا فيـه زيادة عن اللازم، ربمـا طغت على التفكير نحو المـوقف كله. وهناك الآن الخـائفون الوجلـون الذين يرون أن ما يحـدث في كابول اليـوم إنما يمس مفهوم الجهاد بعامة، وليس جهاد المسلمين في أفغانستان بخاصة. ولا أظن أننا نستطيع بحق إغفال كابول اليوم والمضي قـدمًا إلى موضوعات أخرى أشغل بهـذا الحيز المخصص لي. فمـا يربطنـي بكابـول يحتم علىّ الوقـوف عندها بين الفينة والفينة.

ولا يملك المرء إلا المضي قدمًا في التفاؤل، وإن ما يحدث في كابول إنما هو سحـابة صيف لا تلبث أن تزول. ثبت الله المجاهـدين في كل مكان على الحق، وكان الله في عون الجميع.

عصر اللاجئين..!!

يبدو الآن أننا سنجد في كل مكان من أرض الله لاجئًا يعاني من ظلم الإنسان في هذا الوقت الذي وصل فيه هذا الإنسان إلى أوج الحضارة. وكان من مستلزمات هذا الأوج أن يزداد ظلم الإنسان للإنسان. وأوج الحضارة الذي تعيشه بعض الدول لم يمنعها من إيجاد القلاقل في المجتمعات النامية عندما زرع أصحاب هذه الحضارة أفكارهم الواردة على هذه المجتمعات، فكانت النتيجة أن رفض الناس هذه الأفكار؛ لأنها لا تلتقي مع الفطرة التي خلق الله عليها هذا الإنسان. وأدى هذا إلى الحروب والثورات والتمردات والرفض لهذا الدخيل على هذه المجتمعات.

ويبدو أن المسلمين شرقًا وغربًا ينالهم نصيب الأسد من هذه الظاهرة المشينة التي هي صورة من صور هذا الأوج الحضاري الذي اعتمد المادة ونسي مقومات الإنسانية (نسبة المسلمين من اللاجئين ٧٠٪).

ومحنة اللاجئين المستمرة ليست جديدة، إذ تعود فيما بيننا الآن إلى خمس وأربعين سنة، حينما خرجت مجموعات من فلسطين تفرقت شمالاً وجنوبًا وشرقًا في مخيمات لا يزال بعضها قائمة، وندرك المحاولات القائمة لمسخ الهوية الفلسطينية وتمييعها في المجتمعات الأخرى العربية وغير العربية، ولكنّ الفلسطينيين يتوارثون هويتهم ويأبون هذا التمييع، ويصرون على العودة إلى ديارهم، وسيعودون بعون من الله تعالى.

ثم تتوالى محن المهاجرين/ اللاجئين في أفغانستان حيث كابد ستة ملايين لاجئ مرارة العيش وقسوة الحياة، كل هذا من أجل سواد عيون المنجل الأحمر وزعيميه لينين وستالين وتلاميذهما. ورحلة العودة لهؤلاء اللاجئين ستكون مضنية؛ لأن الأرض أمامهم مليئة بالألغام.

وفي أريتريا حيث الزحف الصليبي على المسلمين هناك، وفي الصومال حيث الحرب الطاحنة والمآسي التي خلفها الاستعمار، وفي ليبيريا حيث الصليبية أيضًا، وفي أفريقيا بعامة حيث أصبحت ظاهرة اللجوء أكثر من ظاهرة الاستقرار (!) نتيجة للحروب والجفاف والجهل والفقر والمرض.

وآسيا لا تخلو من اللاجئين فيتناميين أو آسيويين جنوب شرقيين على العموم، طحنتهم الحروب والمآسي التي تكالبت عليهم. ولا يدرك البعض أن جزءًا غير يسير من هؤلاء مسلمون.

وفي أمريكا الوسطى وجزر الهند الغربية حيث بنو هاييتي مساكين ضاقت بهم الأرض بما رحبت ولفظتهم الولايات المتحدة الأمريكية (أم الدنيا) ومنادية الناس إلى الحرية.

وفي أوروبا مهاجرون مسلمون أخرجوا من ديارهم وبيوتهم في البوسنة والهرسك وأصبحوا نهبًا للجمعيات التنصيرية التي عرف عنها الاصطياد في الماء العكر واستغلال ظروف الفقر والجهل والمرض لتسويق بضاعة كاسدة دخلها من التحريف ما أضحت معه مسخًا لو أطلع عليها عيسى ـ عليه السلام ـ لتبرأ منها ومن أهلها. وقد زادوا اليوم عن المليون وثلاثمائة ألف.

هذه الحالات مجتمعة تضيف أعباءً على القادرين من المسلمين ـ حكومات وشعوبًا ـ للوقوف مع هؤلاء في العراء وفي المحافل الدولية، وفي توفير الممكن من الغذاء والكساء، فستر الله على من ستر المسلمين. وهذه الحالات تتطلب الجهود المنظمة البعيدة عن الاندفاعات العاطفية المؤقتة. فالتخطيط والمسح، ومن ثم التنظيم ضروريات ملحة للعمل الإغاثي الإسلامي. وفق الله العاملين على تفريج الكربات، وكان الله في عون الجميع.

العرب في بيشاور..!!

عندما عقدت العزم على السفر إلى بيشاور في ولاية صرحد في الباكستان طلب مني مجموعة من الأصدقاء ـ على سبيل التندر ـ إحضار شيء من الرز!! معي، إذ إن بيشاور كانت مشهورة بالرز فحسب. أما مع مطلع الأربعمائة وألف للهجرة ١٩٧٩م فقد تحولت شهرة بيشاور إلى أن تصبح مركز انطلاقة الجهاد الإسلامي/ أو جهاد المسلمين بعبارة أدق في أفغانستان.

وبيشاور المدينة الصغيرة قبل هذا التاريخ، أضحت مدينة كبرى تنافس لاهور وإسلام آباد، وإن كانت لا تصل إلى منافسة المدينة العريقة كراتشي. هذه المدينة دخلت تاريخ الجهاد من أوسع أبوابه في الزمن الحالي، فقد كانت قاعدة لكل ما يمكن أن يفكر به المسلم من أفكار منطلقها الإسلام، وإن كانت بعضها قد شطت عن الإسلام باسم الإسلام.

وأبرز ما يمكن التركيز عليه هنا هو انتقال المجاهدين العرب إلى بيشاور لمناصرة إخوانهم الأفغان في جهاد ضد الكفر المتمثل هنا بالشيوعية التي يُعزىٰ سبب انهيارها في عاصمتها إلى دحرها في كابول على أرض المسلمين في أفغانستان، أو لنقل إن من أسباب إندحارها كان ذلك على رأي آخر.

المجاهدون العرب كانوا سباقين إلى نصرة إخوانهم الأفغان. لم يذهبوا إلى بيشاور للسياحة أو للتجارة أو لكسب الدنيا. بل إن جماعة منهم قد تركوا الدنيا وراءهم، وضحوا بالكثير من المغريات المادية ورغبوا في الشهادة أو النصر على أعداء الله.

لم يكن هؤلاء المجاهدون يحاربون من أجل الأرض/ التراب/ أو من أجل وطنية، أو عرقية، أو إقليمية قومية ونحوها. كانت وجهتهم راية الجهاد يرفعونها في وجه أولئك الذين عاثوا في الأرض وفي العقول فسادًا.

وبيشاور احتضنت الجميع، لم تردَّ قادمًا إليها، فكانت المدينة متنفسًا لكثيرين، وكانت في الوقت ذاته مرتعًا لصراع بعض الأفكار، وأحسب أن قادة الجهاد الأفغاني قد عانوا قليلاً في بيشاور من بعض الأفكار الدخيلة، وأحسب أن مذكرات بعضهم إذا ما كتبوها سوف تفصح عن شيء من المعاناة التي لقوها من بعض العرب.

ولكن بيشاور مع هذا لم تستسلم للأفكار الدخيلة، فالخير فيها كان أكثر بكثير من الوجه الآخر، ولكن وجود الوجه الآخر في بيئة الجهاد، أتاح لهذا الوجه البروز؛ لأنه مستنكر في هذه البيئة التي توقع الناس/ كل المسلمين أن تكون بيئة صافية نقية مترفعة عن الممارسات البشرية المعتادة، لِمَ لا والقادمون إليها قد باعوا الدنيا بثمن بخس لا يصل إلى قيمة «الكلاشنكوف».

وتلك كانت مشكلة دفع بعض الشباب ثمنها، حينما اعتقدوا في البدء أن المجاهدين لا يخطئون، فكان الخطأ الخفيف من قائد من قادة المجاهدين كثيرًا في أعين الشباب العرب بخاصة.

وكان هناك عشرون ألف مجاهد عربي مروا على بيشاور وتفرقوا في الداخل/ داخل أفغانستان. ويعود من يبقي منهم إلى بيشاور في طريقه إلى بلاده أو ليبقى فيها فترة ويدخل أو يساعد المجاهدين داخل المدينة.

وبعد أن منَّ الله على المجاهدين بالنصر في جهادهم الصغير ودخلوا مرحلة حساسة جدًا وحاسمة بدأ الحديث عن المجاهدين العرب يأخذ طابعًا «سلبيًا» في الإعلام العربي، وجنى عليهم من جنى، واتهموا في دينهم وفي غاياتهم، وجُعل من نماذج شاذة قاعدة كبرى، فكان التعميم في الأحكام والسرعة في إطلاقها على الجميع. وهم الآن يبحثون عن مكان لهم يكملون فيه ما بدأوه، بعد أن اعتذرت لهم بيشاور بضيق صدرها بهم. ولنا معهم وقفة أخرى أو وقفات، إذ إن موضوعهم يستحق أكثر من وقفة موضوعية هادئة

بعيدة عن إطلاق الأحكام جزافًا، وبعيدًا عن خدمة أهداف سياسية أو «آيديولوجية» غريبة على الأغراض التي وجدوا في بيشاور من أجلها. كان الله في عونهم، وكان الله في عون الجميع.

المجاهدون العرب..!!

لعلي أنطلق في هذه الوقفة من الاختلاف مع مقال نشر بجريدة محلية، عندما تحدث الكاتب عن المجاهدين العرب في أفغانستان واتهم الآلاف منهم باتخاذ الجهاد الأفغاني «ذريعة ووسيلة للاتجار بالمخدرات واحتراف التهريب وتنظيم الإرهاب وتكوين خلايا حزبية وسياسية لإشاعة البلبلة والفتن في المجتمعات العربية والإسلامية» كما جاء في مستهل حديث الأستاذ الكاتب تحت عنوان «الخوارج الجدد»!.

والقضية الأفغانية كانت ــ ولا تزال ـ قضية مفتوحة للجميع، يساهم فيها الجميع بحسب ما يستطيعون من إسهام. ومن الجميع الكُتَّاب والمفكرون والمثقفون الذين تعاطف معظمهم مع المجاهدين الأفغان ونظرتهم إلى القضية على أنها قضية صراع بين طائفة مسلمة وأخرى شيوعية. وتعاطف بعض الكتّاب والمفكرين والمثقفين العرب مع الطرف الآخر ورأوا للقضية طرفين؛ أحدهما الحاكم الشرعي في كابول والطرف الآخر سموهم بالمتمردين والأصوليين والمتشددين وغير ذلك. وهذه الفئة الثانية قليلة ومعروفة بتوجهاتها التي لا تتفق مع مفهوم الجهاد.

ولا يبدو من منطلق الأستاذ الكاتب إلا أنه من النوع الأول لا الثاني، ولكنه رأى في العرب الذين شاركوا المجاهدين مسيرتهم ما رأى من رأي خلاصته ما ذكر أعلاه، على أن هناك بعض العرب ممن شاركوا رسميًا وشخصيًا مع النظام الشيوعي في موسكو وفي كابول، ولكن هؤلاء العرب غير معروفين ولم يعرفوا بتهريب المخدرات والاتجار بها وتنظيم الإرهاب وتكوين خلايا حزبية وسياسية لإشاعة البلبلة والفتن في المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك؛ **لأن نسبة هذه الفئة قليلة جدًا ويكتنفها الغموض والتكتم لما فيها من الفضيحة لبعض الأنظمة العربية التي باركت مسارها وزودتها بالسلاح وغيره.** وأركز هنا على كلمة «بعض» كلما وردت في هذه الوقفة مع الأستاذ الكاتب في الهوامش

الصحفية المذكورة.

ولأن القضية الأفغانية قضية مفتوحة وطويلة المدى والنفس حق للجميع أن يكتبوا عنها وحولها مستقين معلوماتهم من أخبار صحفية أو أحاديث مجالس أو تحقيقات إذاعية ـ غالبًا ما تكون أجنبية ـ ولا تتوافر عن القضية الأفغانية مصادر علمية كافية يستطيع المهتم بها الرجوع إليها لتوثيق معلوماته سوى كتابات تغلب عليها ـ على العموم ـ العاطفة وإيضاح بعض المواقف حول المجاهدين. وعليه فإن المرء قد يلتمس العذر لبعض الكتّاب الذين يتكئون على هذه الأخبار السريعة، ولا يملك شخص أو جهاز رسمي توجيه الكتابات حول هذه القضية الطويلة ـ زمنًا ـ للأسباب المذكورة وغيرها.

المجاهدون العرب:

والذي أعرفه أن المجاهدين العرب الذين وقفوا مع الأفغان بأرواحهم يزيدون على عشرين ألف ومعهم ـ في معظمهم ـ عائلاتهم وأبناؤهم، وعمل جزء منهم على حماية مراكز القيادة في بيشاور وغيرها من مدن الباكستان من تدخلات بعض «المنافقين» المندسين بين الأفغان والعرب قصدًا إلى زرع الفتنة بينهم وخلخلة «الجبهة الداخلية» لو صح التعبير في هذا المقام، وهذه الفئة من المنافقين قليلة، وهي من المرتزقة التي لا تتردد في الاتجار بالمخدرات وتهريبها وتهريب الأسلحة وتصدير الإرهاب، وبخاصة أن سوق المخدرات وسوق الأسلحة تقع في مناطق قبلية يصعب السيطرة عليها من أية قوة نظامية كالقوة الباكستانية التي تعمل جاهدة في القضاء على هذه المشكلة.

وقد بدأت ظاهرة «الهجرة» كما يسمونها من البلاد العربية إلى الحدود الباكستانية الأفغانية مع بداية الجهاد الأفغاني ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م وسافر إلى هناك علماء وطلبة علم ودعاة ومخلصون ـ كما نحسبهم ـ لدينهم ولأمتهم،

ومنهم من حصل على مؤهلات عليا في التخصصات الدينية والدنيوية وأسهموا من خلال تخصصاتهم في مسيرة الجهاد. ولعلنا إذا أردنا ذكر الأسماء لا نغفل جهود الدكتور عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ الذي كان يعد في يوم من الأيام «شيخ المجاهدين العرب»، وقد قُتِلَ غيلة وهو خارج لأداء صلاة الجمعة في مدينة بيشاور هو واثنين من أبنائه، ولا يزال الباقون من أبنائه وأهله والمحيطين به يواصلون ما بدأه ـ رحمه الله وجعله من الشهداء ـ وغيره من العرب كثير ممن التفوا حوله أو كانت لهم اهتماماتهم الأخرى داخل إطار القضية الأفغانية.

ولم أحصل إلى الآن على إحصائية دقيقة عن عدد المجاهدين العرب الذين قدَّموا أرواحهم في سبيل الله ـ تقبلهم الله من الشهداء ـ ولكنهم كانوا محط الإعلان في المجلات الجهادية التي تصدر على الساحة، وكل عدد يطالعنا فيه مجموعة ممن قضوا نحبهم في الساحة الأفغانية، وأظنهم يزيدون الآن على عشرة آلاف ـ مع تواضع في الرقم ـ وجزء منهم من أبناء هذا البلد الطيب ومن أبناء الخليج، إضافة إلى البلاد العربية والإسلامية الأخرى.

وصعوبة الحصول على عدد من قدموا أرواحهم في سبيل الله أسهل من الحصول على عدد من قدموا أجزاء منهم «أعضاء» في ساحة الجهاد، فهم كثر، ونحن ندعو لهم أن تكون هذه الأعضاء التي فقدوها قد سبقتهم إلى الجنة.

هذا بالإضافة إلى ما قدمه المجاهدون العرب من جهود دعوية وعلمية ودعم معنوي ومادي للمجاهدين الأفغان بوقوفهم معهم ونصرتهم على من ظلمهم، وإن كان هناك رأي في عدم مواكبة مساعي الدعوة لمساعي الجهاد لأسباب يطول ذكرها. والدعم المعنوي والمادي لم يقتصر على المجاهدين الأفغان في الداخل، بل نال المهاجرون الذين يصلون إلى أربعة ملايين

مهاجر «لاجئ» نصيبًا من الدعم الإغاثي التربوي والصحي بمباركة من الحكومات الإسلامية، كحكومة المملكة العربية السعودية، التي تقف على رأس القائمة ـ بفضل من الله تعالى عليها ـ .

والساحة الأفغانية ـ وبخاصة ساحة المخيمات داخل أفغانستان وخارجها ـ هي ساحة مفتوحة لكل الناس، ولكل الأفكار. وهناك من نقلوا أفكارهم معهم إلى الساحة، وليست هذه الأفكار بالضرورة على حق، ولكنها انعكاسات لأوضاع عربية وإسلامية في بعض البلاد، وكانت على الساحة مناقشات وجدل ونقاش ومناظرات وحجاج حول الأفكار التي قد تُلبَّس أحيانًا باللباس الإسلامي بينما هي داخلة في الفهم الخاطئ للإسلام، ولهذه الأفكار دعاة قليلون ولكنهم موجودون. وهم من الفئة التي يحاول الأستاذ الكاتب تعميمها على جميع المجاهدين العرب الذين يزيد عددهم ـ كما ذكرت ـ عن عشرين ألف شخص بأهلهم وأولادهم.

ومن بين هؤلاء من لم يكن صادق النية، بحيث جاء لتعاطي المخدرات، أو لتهريبها، أو للاتجار، ولكن هؤلاء معددون وبعضهم عُرف فأوقف عند حده. ولعل وجود نماذج من هذه الفئة على أرض الواقع هو الذي حدا بالكاتب إلى التعميم الذي لن يصدق على الجميع. هذا بالإضافة إلى وجود بعض المتشددين المغالين الذين قد يصدق عليهم مصطلح الخوارج وهم موجودون في معظم المجتمعات.

تنظيم الإرهاب..!

وأشارت بعض الصحف والإذاعات الأجنبية إلى أن بعض الذين أحدثوا قلاقل في بعض المجتمعات العربية تلقوا تدريباتهم في أفغانستان. وهذا إن صدق فهو يعني عددًا محدودًا من الأفراد الذين خانهم المنهج وبررت الغايات عندهم الوسائل وخانوا هم المنهج ـ في معظمهم وليس كلهم ـ ولا يصدق أن

يعمم هذا على جميع المجاهدين العرب. وما رأي الأخ الكريم لو ادعيت أنا الآن أن هذه الفكرة قصد بها الحط من قدر هؤلاء المجاهدين بأخذ أسوأ الحالات أمثلة على ممارساتها، وأن هؤلاء الذين أحدثوا قلاقل ليسوا بالضرورة جميعهم من أولئك المخلصين الذين خاضوا التجربة الجهادية في أفغانستان، وبخاصة أني أقرر هنا وجود فئات من المنافقين وفيهم العلماء وطلبة العلم وساسة وكثير من أصحاب الخبرات العلمية والمهنية والفنية.

بل قد تمتد المشكلة هنا إلى أولئك الذين دعموا فكرة الجهاد داخل بلدانهم ولو لم يكن لهم نصيب في الجهاد بالنفس من الدعاة والعلماء وطلبة العلم والمحسنين من الموسرين والمهتمين بالقضايا الإسلامية، إذ قد يقال في يوم ما إنهم ضلع في تكوين هذه الفئات ورعايتها. وليس بالضرورة أن تكون هذه المشكلة مستوحاة من حديث الأستاذ الكاتب في الهوامش الصحفية، ولكن الحديث قد يعين على تكوين القاعدة لهذا المنطلق.

وستبدي الأيام جوانب سلبية صاحبت المسيرة الجهادية التي قادها بشر، ولا أظن أن أحدًا متجردًا سوف ينفي وجود سلبيات، ولكنها من السلبيات التي تصاحب أي عمل جماعي اكتسب هذه العالمية، وليست كلها من الجوانب المقصودة لذاتها. ومع هذا كله فلا بد من التأكيد على أن الأشخاص الذين أسهموا عمدًا في جوانب سلبية لا يشكلون نسبة يمكن أن تكون عينة للوصول إلى النتائج السلبية. ولا ينظر إليهم في الساحة الأفغانية على أنهم وصلوا إلى حد الظاهرة التي تهدد المسيرة الجهادية ويمكن أن تهدد المجتمعات الإسلامية الأخرى.

ولعله لا يفهم من هذه الوقفة مع الأستاذ الكاتب تبرير بعض التصرفات الشخصية المعزولة عن الطابع العام. ولا يفهم كذلك أنها وقفة دفاع عن ممارسات خاطئة شذت ـ في معظمها ـ عن الطريق القويم. ولا يفهم أيضا أنها وقفة محاولة لتبرئة الساحة الأفغانية مما علق بها طيلة السنين الماضية.

وهناك أملٌ في وقفات علمية تعتمد على الإحصاءات والتحليل والتأصيل تقوم بتقويم هذه المسيرة فتأخذ منها ما فيه خير للجميع، وتدع منها ما له آثار غير طيبة على الجميع. واعلم أن هناك مركزًا علميًا في إسلام آباد (معهد الدراسات السياسية) يقوم بهذه المهمة من خلال دراسات وتقارير شهرية (أفغانستان: الحاضر والمستقبل) ونشرات دورية (قضايا دولية). ولعلنا نرى من هذا المركز أعمالاً علمية أخرى، وبخاصة أنه الآن بصدد الإسهام في إصدار موسوعة علمية عن الجهاد الأفغاني تكتب بأقلام المجاهدين الأفغان والعرب وتسجل جميع الجوانب التي صاحبت الجهاد طيلة السنين الماضية. مع أن المؤلم هنا أنه بعض المعاهد العلمية قد تعتورها الذاتية فتنحاز إلى طرف على حساب الآخر، وتتبنى بعضها توجهاً قد لا يسمح بالموضوعية المجردة التامة. واختلافي مع الأستاذ الكاتب في هذه الوقفة لا يفسد للود قضية. وكان الله في عون الجميع.